رسالة الرقص 2018

شرق وغرب: الرقص حوار

عمّان، الأردن، الأحد في 26 آب 1979. الملك حسين والملكة نور – وهي من جنسية أميركية – يدخلان الجناح الملكي في قصر الثقافة، تصفيق وترحيب حماسي. النشيد الأردني. النشيد الأميركي.

سكوت..

رفعت ستارة المسرح.. عراقة ملكية من صنف آخر: سيدة نحيلة القامة، شامخة، بفستانها المطرز الطويل، بقفازاتها السوداء، بقرب عرش قديم النظرة، تنحني، وتتسرّب إلى هذا العرش.

Martha Grahamمارتا غراهام

تكلمت بهمس عن فرقتها، عن الباليهات التي أنجزتها.. و حين ابتدأت الحديث عن الجسد، أنصت إليها الملك، المعروف كرياضي بارز بكل تفهّم وتعاطف.

وأنا، من جهتي تأكدت لي قناعاتي المكتسبة التي تعتبر الجسد هيكلاً تولد فيه الحياة، تهتز في أعماق الروح، قلبه عضل يبثّ الحب، من دماغه تنبعث قوة التفكير، الخير والشر

يتنافسان في أعماقه. الجسد يجمل الحركة، وهي جوهر الحياة، إلى شكلها الأكثر سمواً: الرقص.

وكأنها سبق وأمضت كل عمرها في ربوعنا. تتكلّم Martha كنت أصغي إلى ما تقوله مرتا عن الرمال التي بحركتها محت آثار الغزاة؛ لأن كما قالت :"إن صوت الأرض هو الذي يفرض من تبقى على سطحها".

، من المحتمل أن نكون هنا على هذه الأرض قبل ذاكرة الإنسان Marthaآه، نعم يا مارتا بكثير، رمال صحارينا، أمواج بحارنا، قد أوحت ربما إلى نسائنا حركة الوركين بتموجاتهن الرشيقة والجذابة والتي تسرّبت إلى أقاصي إسبانيا (الأندلس). يقال إنها أوحت إلى أحد الشعراء الذي صرخ معبراً: "فلا حرمونا الله منكم" ... (التي تحولت بعد تخطّيها الصعوبات الحلقية المتعلقة بحرف الـ"ح" إلى فلامنكو Flamenco).

هل هذه القصة حقيقية؟ من يعلم؟ من الممكن أن تكون كذبة جميلة. إلا في الواقع أن الشِّعر والرقص هما أكذوبتين رائعتين تعكسان عمق المشاعر الإنسانية؟

في حين أن الصحراء برمالها والبحر بأمواجه قد أوحيتا تموّج وركي نسائنا حين ترقص، إن الجبال الوعرة والشامخة، كما ورقصات السيف وركب الخيول، قد صقلت رجالنا وجعلتهم يعتمدون الخطوات الصلبة في رقصاتهم، كما القفز بقوة الريح العاصفة.. كل منطقة من عالمنا الشاسع قد طورت أسلوبها وألوانها الخاصة.

أول تعبير بالرقص كانت الصلاة..

ديانات الكتب الثلاثة.. كما يسمّونها عندنا ولدت على شواطئنا..

تعتبر حركات ولفتات الصلاة كأحد أشكال الرقص الروحي التي تعود بأصلها إلى الماضي البعيد. هذا التعبير الأنقى والأقدم من الحياة هو الأكثر غموضاً بالنسبة لجسد الإنسان.

غمزة واجبة لجهة الرقص الفرعوني الذي يساعد في محاولة قياس عمر الرقص في مناطقنا.

كانت ترسم بشكل زوايا بالرغم أن حقيقته كانت طليقة، خلاّبة ومتدفقة كمياه النيل.

مع قدوم العصر الحديث وتواجد الأجانب المقيمين على أرضنا، أنشئت مدارس الباليه الكلاسيكي والرقص المعاصر التي ساهمت بتطوّر الرقص إلى مستوى يفوق الذي كان يمارس في الاحتفالات الريفية والمناسبات الأكثر شيوعاً وصولاً إلى الاحترافية وتقديم العروض على المسارح .

لنعود إلى الأردن، تحدّياً للحرب السائدة آنذاك في لبنان بادرت شخصياً بمجازفة حملتني Martha Graham إلى اقناع واصطحاب عشرة من طلابي لمشاهدة ولقاء فرقة مارتا غراهام وخصوصاً للمشاركة بصف Master-Class يقيمه الراقص Peter Sparling.

لاقت هذه التجربة حماساً ملموساً ونجاحاً كبيراً... هتافات وتصفيق ابتسامات عريضة، عناق وقبلات.. وإذ كنت على رأس مجموعة طلابي العشرة كان من البديهي أن أتقدم بالشكر نظر إلينا متعجباً متسائلاً: "أنتم تشكرونني أنا؟؟ أنا الذي يريد شكركم!! قائلاً: أنا من Peter.إلى الولايات المتحدة الأميركية وأنتم من لبنان والأردن وغيره من البلدان.. أتينا إلى هنا وجلسنا معاً وتكلمنا جميعاً اللّغة ذاتها..,على الأرض

أو قفزنا في الفضاء، أو قدحنا Barreبالحقيقة لو جلسنا على الأرض أو تعلّقنا بـ"البار" أعالي الجبال بأقدامنا الصلبة أو تموجت وركي نسائنا حين ترقص في خيمة او ملهى أو غيرها

فإن لغتنا المشتركة تجمعنا: إن الرقص ليس تعبيراً فقط، ليس هو احتفالاً أو تسلية بل هو "واقع حال" ينطق ببلاغه أكبر من أية لغة محكية ليقول كلنا واحد.

جورجيت جبارة